بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأوّلين والآخرين وقيوم السماوات والأرضين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصّادق الوعد الأمين؛ اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإنَّ الله جلَّ وعلاَ امتنَّ على عباده بمنَّة عظيمة ونعمة كبرى جسيمة ألا وهي أنه سبحانه أنزل عليهم كتابه الكريم وذِكره الحكيم شفاءً لما في الصدور وصلاحًا للعباد وعزاً لهم في الدنيا والآخرة ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء:٨٢] ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ [فصلت:٤٤] ﴿ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [يونس:٥٧] ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء:٩] والآيات في هذا المعنى كثيرة.

* ويعظم الشأن ويعلو المقام عندما تكون الآية من القرآن آية عظمى فُضّلت على آي القرآن ومُيِّزَت عليه لفخامة شأنها وعظم مكانتها وعظم ما دلت عليه من التوحيد والإخلاص والبراءة من الشرك والتنديد؛ كما هو شأن آية الكرسي تلك الآية العظيمة الجليلة التي فخَّم النبي عليه الصلاة والسلام أمرها وأعلى مقامها ورفع قدرها وبيَّن أنّها أعظم آي القرآن شأنا وأعلاه مكانة، ففي صحيح مسلم عن أبيِّ بن كعب ﷺ وهو من قرّاء الصحابة قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر أتدري أيّ آية من كتاب اللّه معك أعظم؟ قال: قلت: اللّه ورسوله أعلم، قال: يا أبا المنذر أتدري أيّ آية من كتاب اللّه معك أعظم؟ قال: قلت: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، قال: فضرب في صدري وقال: واللّه لِيَهْنِكَ العلمُ أبا المُنذر»[1]، أي هنيئًا لك هذا العلم العظيم الذي ساقه الله إليك ومنَّ عليك به.

وتأمَّل - رعاك الله - كمال فقه الصحابة وحسن فهمهم ﷺ؛ فهاهو أُبيّ ﷺ يأتي بهذا الجواب المسدد في وقفةٍ أمام رسول الله ﷺ

(١): «صحيح مسلم» برقم: (٨١٠)

ويختار هذه الآية من بين ما يزيد على ستة آلاف آية وفي لحظاتٍ يسيرةٍ جدا.

وإن في هذا لدلالةً واضحة وأمارة بيِّنة على مكانة التوحيد في قلوب الصحابة؛ فإن النبي ﷺ لما سأل أبيًّا عن أعظم آية في كتاب الله اختار ﷺ آية التوحيد التي أُخْلِصَتْ لبيانه وتقريره وبيان حججه وبراهينه، ولذا كما بيَّن أهل العلم فإنَّ آية الكرسي اجتمع فيها من تقرير التوحيد وبيانه وذكر دلائله وحججه وبراهينه ما لم يأت في آية أخرى بل جاء متفرقًا في آيات عديدة؛ فآية الكرسي لعظم شأنها وعلو مقامها جمعت من تقرير التوحيد وبيان براهينه ما لم يأت في آية أخرى من كتاب الله عز وجل.

* ولعظم مقام هذه الآية وعلو شأنها جاء عن النبي ﷺ في أحاديث عديدة الترغيب في قراءتها مرّات وكرّات في اليوم والليلة، بل جاء عنه ﷺ ما يدلُّ على استحباب قراءتها في اليوم والليلة ثماني مرات : مرتين في الصباح والمساء، ومرة عند النوم، وخمس مرات أدبار الصلوات المكتوبة.

* أما قراءتها أدبار الصلوات فيدل عليه ما ثبت في سنن النسائي عن أبي أمامة الباهلي ﷺ أن النبي ﷺ قال : «من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت»[2].

* وأما قراءتها عند النوم ففي «صحيح البخاري» من حديث أبي هريرة ما يدل على أن «من قرأها إذا أوى إلى فراشه لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح»[3].

* وأما قراءتها في أذكار الصباح والمساء فيدل عليه ما ثبت في «سنن النسائي» و«معجم الطبراني الكبير» من حديث أبيّ بن كعب ﷺ وفيه أن «من قرأها إذا أصبح أجِير من الشياطين حتى يمسي وإذا قرأها إذا أمسى أجير من الشياطين حتى يصبح»[4].

وهاهنا أمر عظيم لا بد من التنبيه عليه والتذكير به ألا وهو: أن انتفاع

(٢): «عمل اليوم والليلة» رقم: (١٠٠) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم: (٦٤٦)
(٣): «صحيح البخاري» رقم: (٢٣١١)
(٤): «سنن النسائي» و«معجم الطبراني الكبير» وصححه الألباني في «صحيح الترغيب: ٤١٨»

العبد بهذه الآية المباركة لابد فيه من تدبر معانيها وعقل دلالاتها؛ لا أن يكون حظُّ العبد منها مجرد القراءة للحروف دون عقل المعاني والتبصّر في الدلالات، ولهذا قال الله تبارك وتعالى في عموم القرآن: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤]، وقال جلَّ وعلا: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢]، وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩]، وقال جلَّ وعلا: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾ [المؤمنون:٦٨]، هذا في عموم القرآن فكيف بأعظم آي القرآن شأنا وأرفعها مكانة !!

ولهذا لا يليق بالمسلم أن يكون حظُّه من هذه الآية المباركة الكريمة مجرد القراءة والتلاوة دون عقل المعاني وتدبُّرِ الدلالات ودون تحقيق المقاصد والغايات.

إنَّ هذه الآية العظيمة المباركة دلّت على أعظم المعاني وأجلِّها وعلى أشرف المقاصد وأعظمها، ألا وهو توحيد الله ووجوب إخلاص الدين له وإفراده وحده جلَّ وعلاَ بالعبادة، فصُدِّرت بكلمة التوحيد الخالدة «لا إله إلا الله» التي هي أعظم الكلمات وأجلّها على الإطلاق، وهي كلمةٌ تدل على وجوب إفراد الله وحده بالعبادة والبراءة من الشرك كلِّه دقيقه وجليله، فهي كلمة التوحيد؛ فلا توحيد إلا بتحقيقها.

وفيها أنَّ التوحيد لا يقوم إلا على ركنين لا بد منهما، وأصلين لا بد من تحقيقهما: النفي والإثبات؛ نفي العبادة عن كلِّ من سوى الله، وإثبات العبادة بكلِّ معانيها لله وحده خضوعًا وتذللا، رغبًا وطمعا، سجوداً وركوعا، توكلاً واعتمادا، دعاءً ورجاء، إلى غير ذلك من أنواع العبادة وصنوف الطاعة؛ فكلُّ ذلك حق لله ليس لأحد فيه شركة.

وقد أقيمت في هذه الآية المباركة الحجج البينات والدلالات الظاهرات على وجوب التوحيد وإخلاص العبادة لله، وقد ذُكر فيها من الحجج ما يزيد على العشرة حجج فتأملها رعاك الله:

* فمن هذه الحجج : قوله جلَّ وعلا: ﴿ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾؛ نعم إن الله تبارك وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ ﴾ الحياة الكاملة التي لم تُسبق بعدم ولا يلحقها فناء ولا يعتريها نقصٌ، ومن كان هذا شأنه فهو المستحق لأن يُفرد بالعبادة أما الحي الذي يموت أو الحي الذي قد مات أو الجماد الذي لا حياة له فكل هؤلاء ليس لهم في العبادة أي حق.

* ووصف نفسه جلَّ وعلاَ في الآية بأنه: ﴿ قيوم ﴾ أي: قائم بنفسه مقيم لشؤون خلقه وهذا دال على كمال غناه وعلى شدة افتقار العباد إليه من كلِّ وجه، ومن كان هذا شأنه فهو الذي يستحق العبادة دون سواه.

* ووصف نفسه جلَّ وعلاَ بأنه :﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴾ وهذا لكمال حياته وكمال قيُّوميَّته وكمال قدرته وقوته سبحانه، ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : «إنّ اللّه عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل اللّيل قبل عمل النّهار، وعمل النّهار قبل عمل اللّيل »(٥).

* ووصف نفسه جلَّ وعلاَ في الآية بأن:﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾، فللَّه جلَّ وعلاَ ما في السماوات وما في الأرض ملكًا وخلقا لا شريك له في شيء من ذلك، ومن كان كذلك فهو الذي يستحق أن يُعبد دون سواه، ولهذا قال في آية أخرى مبينًا بطلان الشرك والتنديد: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢ ﴾ [سبأ].

* وذكر في الآية جلَّ وعلاَ كمال سلطانه بقوله جلَّ وعلاَ: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾، فالشفاعة ملك لله فلا تطلب إلا من الله جلَّ وعلاَ قال تعالى : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ ﴾ [الزمر:٤٤]

* وبيَّن سبحانه عظمته وجلاله وكماله وإحاطة علمه بقوله سبحانه : ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ ﴾، وفي هذا: إحاطة علم الله جلَّ وعلاَ بالأمور الماضيات وبالأمور المستقبلات؛ فهو يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، أحاط بكل شيء علما

(٥): «صحيح مسلم» رقم: (١٧٩)

وأحصى كل شيء عددا، وكيف لا يحيط علمًا بالمخلوقات وهو خالقها ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [الملك:١٤].

* وذكر جلَّ وعلا قصور علم العباد وضعفه وأنه لا علم عندهم إلا ما علَّمهم الله ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ ﴾، والعباد لم يؤتوا من العلم إلا قليلا وكل ما عندهم من العلم هو فضل الله عليهم ومَنُّه.

* ثم ذكر جلَّ وعلاَ عظمته سبحانه بذكر عظمة أحد مخلوقاته وهو الكرسي العظيم، قال جلَّ وعلاَ: ﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ ﴾؛ ويبين هذا المعنى ما ثبت عن النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من حديث أبي ذر رضي الله عنه أنه سأل النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن أعظم آية في القرآن فقال: «آية الكرسي» ثم قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «ما السماوات والأرض في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة »(٦). فإذا كانت المخلوقات بهذه العظمة فكيف بخالقها ومبدعها وموجدها عظُم شأنه وتعالى جدُّه.

* ثم قال جلَّ وعلاَ : ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ ﴾ وهذا من عظمة الله جلَّ وعلاَ وكمال قوته وقدرته؛ أي لا يثقله سبحانه حفظ السماوات والأرض: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ [فاطر:٤١].

* ثمَّ ختم هذه الحجج بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ مُبيِّنًا للعباد علوَّه ذاتًا وقدرًا وقهرًا، وعظمته جلَّ وعلاَ وأن العظمة وصفه جلَّ وعلاَ، وهي عظمة في الأسماء، وعظمة في الصفات، وعظمة في الأفعال ؛ فتبارك الله العظيم رب الخلق أجمعين، خالقهم من العدم وموجدهم بعد أن لم يكونوا، وهو جلَّ وعلاَ المستحق أن يعبد وحده دون سواه فلا إله إلا الله ولا معبود حقٌّ إلا الله.

اللهم وفقنا للعمل بكتابك واتباع سنة نبيك ﷺ وأعِنا على تحقيق هذه المعاني العظيمة والدلالات المباركة التي دلّت عليها أعظم آي القرآن شأنا – آية الكرسي –.

(٦): رواه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٦٦) وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٤٨-٦٤٩) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٠٠-٣٠١) وغيرهم وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٠٩)

إعداد
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

دار المحجة
شارك في الدعوة إلى الله بنشر هذه المطوية لتكون لك حسنة جارية